المعجم الشعري

هالة كمال جمعة

الملخص

ينقسم بحث (مستويات البناء الشعري عند فاروق جويدة:دراسة في بلاغة النص) إلى ثلاثة فصول وخاتمة:

أما الفصل الأول بعنوان (المعجم الشعري)،فيدور حول البنية المعجمية،وموضوعه الحقول الدلالية التي تشكل صلب البنية المعجمية لقصائد فاروق جويدة.

ثم يأتي الفصل الثاني بعنوان(التراكيب الشعرية)،ويضم ثلاثة مباحث،يتناول الأول أساليب الخطاب الشعري،ويتوقف عند الأساليب الإنشائية من استفهام،ونداء، وتمن،وأمر، ونهي،بينما يدرس الثاني البنية الكلية للنص،من خلال العلاقات بين الجمل والمتتاليات،ثم بين المقاطع والوحدات النصية الكبرى.أما الثالث فهو الخاص بدراسة أبنية الضمائر،أو عناصر الاتصال في الخطاب الشعري،أي عناصره من متكلم، ومخاطب،وغائب،مصنفًا قصائد جويدة حسب نوعية الضمائر الموجودة بها،متابعًا تحولات الضمير في القصيدة الواحدة.

والفصل الثالث بعنوان(الصورة الشعرية)،وهو ينظر إلى الصورة بوصفها علاقة لغوية بين المفردة ونظيرتها من جانب،وبين المفردة ومرجعها من جانب آخر.ويتكون من مبحثين يتناول الأول بناء الصورة،وسوف يقتصر البحث على دراسة بنيتي التشبيه والاستعارة بوصفهما أبرز مظهرين للصورة الشعرية في أعمال فاروق جويدة، بينما يأتي المبحث الثاني ليدرس دور الصورة في بناء القصيدة،والتعرف على أبنية النصوص من خلال الدور المهيمن للصورة الشعرية.

أما المبحث الثالث فيتناول "الصورة الحياتية" في شعر فاروق جويدة،وهي الصور المستمدة من الواقع الحياتي المعيش، وهي نمط من الصور لم تتطرق إليه الدراسات السابقة التي تناولت شعر فاروق جويدة.

وتأتي الخاتمة لتعرض أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

Poetic lexicon

Hala Kamal Juma

Abstract

This research (levels of the poetic structure in farouk gwayda's poetry) consists of an introduction, preface and three chapters and a conclusion. The introduction shows the method of the study and the reasons why it was chosen. The preface shows a profile of the poet and a review of his works.

The first chapter's title is (The Poetic dictionary).It studies the semantic fields, which constitute the basis of the infrastructure lexicographical in Farouk Gwayda's poems.

The second chapter is (The poetic compositions), which contains three objects; the first one studies the construction methods in the poetic speech, like: questioning, appealing, whishing, ordering and interdicting. The second object studies the overall structure of the text through the relations between the sentences and the consecutive sentences and then the relations between the parts of sentences and the major unit's text. As for the third part studies structures of the pronouns or the elements of communication in the poetic speech, rating Ggwayda's poems according to the types of pronouns in them and emphasizing the pronoun's transformation in the single poem.

(The poetic image) is the third chapter, which studies the poetic image considering it a linguistic relation between the word and the word's reference. This chapter consists of three parts. The first one studies the structure of the poetic image, but it only contented with the similitude and the metaphor that they are the most prominent showing of the poetic image in Farouk Gwayda's poetry.

The second part studies the role of the poetic image in composing the poem. It also identifies the text's structures through the dominate role of the poetic image.

The third part is (The poetic image of real life). It is particularly concerned with the image which driven from the reality of life on the ground. It should be mentioned that this kind of images in Farouk Gwayda's poems hasn't been dealt with by the previous works which studied his poetry.

Lastly it will be the conclusion which shows the most important results of the research.

إن الشعر بناءٌ،تعدّ الكلمات لبنته الأساسية، وتتميز قصائد كل شاعر بمفرداتها وتراكيبها وصورها على نحو متفرّد يعطيها خصوصيتها من ناحية،ويربطها بمن أبدعها من ناحية أخرى، ومن ثمّ فإن الوصول إلى هذه الخصوصية يحتاج منّا حركتين مزدوجتين.الحركة الأولى:تتبع المفردات من خلال الحقول الصياغية التي اختارها الشاعر ووظفها داخل الأبنية التركيبية.

أما الحركة الثانية فإنها تتبع الأبنية التركيبية لتفحص مكوناتها الإفرادية أولًا، ثم ترصد العلاقات التي تربط بين هذه المفردات، ثم تصعد من هذين الأمرين لترصد السياق الذي احتوى هذه الأبنية.

إن عنايتنا بالحقول الإفرادية والأبنية التركيبية سوف تكشف لنا عن رؤية المبدع لعالمه،وكيف تعلقت هذه الرؤيا بالعالم في صورته المادية الخارجية،ثم تعلقت بالعالم في كينونته الداخلية والروحية، وعلى هذا الأساس تتحول قراءتنا للنصوص حركة مزدوجة أيضًا تتعامل مع المنتج الظاهر والمباشر،ثم تتحرك هذه المباشرة لتنظر في المضمر والمخبوء الذي لم تصرح به الصياغة،وهو ما أسماه الجرجاني: (المعاني الأول والمعاني الثواني) كما أسماه (معنى المعنى) على أساس أن المعنى الأول مهمته أن يقودنا إلى المعنى الثاني،فعندما يقول الشاعر: (إن فلانًا كالبحر) يكون المعنى الأول تشبيه هذا الشخص بالبحر،وهذا المعنى يقودنا إلى المعنى الثاني المقصود وهو (الكرم)،وهكذا تتحرك دراستنا في هذين المستويين على أساس الإفراد وعلى أساس التركيب،ثم تتجه دراستنا إلى المفردات عند خروجها على معناها المعجمي،أي عندما تدخل دائرة (المجاز)الذي يشكّل صور النص معبرًا عن الإحساس الداخلي للذات المبدعة وطبيعتها ورؤيتها للعالم،وهل تميل إلى العالم في حقيقته المادية أم إلى العالم في حقيقته المجازية.

أولًا:حقل الزمن:

إن الحديث عن الزمن في الشعر يقودنا إلى ضرورة التفريق بين شيئين،وهما:الزمن التاريخي (الفيزيائي)،والزمن الذاتيّ،أو ما يُعرف بالزمنية،و"هي تعني ــ عند أصحاب المذهب الظواهري ــ البناء الذاتيّ للزمن في مقابل بنائه الموضوعي.وقد طوّرت الفلسفة نظرتها من مجرد اعتبار الزمن ظاهرة معيشة محسوسًا وموعيًا بها إلى اعتبار الوعي ذاته هو الزمن؛لتكون الزمنية رديفًا لحقيقة الوجود الذاتي للإنسان؛إذ تتصل بالعالم الداخليّ له من انطباعات، وانفعالات، وأفكار.

ولأن الشعر يعدّ رؤية للعالم من خلال الذات الشاعرة،فقد "تضاءل الاهتمام بالتاريخي والنسبي لفائدة اكتساح دروب الفهم العميق للكينونة".

ومن هنا فإننا نجد أن الفهم الشعريّ للكون يتعالى على "التنسيب التاريخي،ويصبحُ ضربًا من مجاهل البحث عن ثوابت الذات المطلقة عبر كل العصور."

ولذلك يعدّ الزمن بمفهومه النفسي أوثق ارتباطًا من المكان بوجود الإنسان،أو هو على حد تعبير هيدجر:"المقاومة الأساسية للوجود،الزمن كما يختبره الفرد ذاته،لا كما يسجله العالم الطبيعي أو المؤرخ".

والزمن كما جاء في مختار الصحاح –(الزمن)و(الزمان) اسم لقليل الوقت وكثيره، وجمعه (أزمان)و(أزمنة)و(أزمن) وهو –كما يعرفه صاحب كتاب معجم(المصباح المنير):مدة قابلة للقسمة،ولهذا يطلق على الوقت القليل والكثير،والجمع أزمنة، وأزمان.وفي لسان العرب:" زمن:الزمن والزمان:اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم:الزمن والزمان:العصر، والجمع:أزمن، وأزمنة، وأزمن الشيء: طال عليه الزمان، والاسم من ذلك:الزمن، والزمنة."

وكل إنسان له زمنه الخاص الذي يشكّل خبراته وهمومه وانفعالاته الخاصة، ولذلك فإن الزمن الواحد قد يراه البعض جميلًا في حين يراه الآخرون زمنًا تعسًا زائفًا، وكل إنسان يظهر موقفه من زمنه من خلال ألفاظه وما يتحدث به في حواراته المختلفة وهذه الخاصية التي تميز الصلة بين الزمن والذات الإنسانية أكثر تميزًا وتفردًا في العمل الفني.

كما تمثل مقولة الزمن عنصرًا جوهريًا في تشكيل خبرة الإنسان ووعيه بذاته وعالمه وواقعه؛إذ تتمتع مفردات الزمن (الزمان/الدهر/الفصول/يوم) بحضور واضح في مجمل دواوين الشاعر.

ويعطي جويدة لحظته الحاضرة اهتمامًا واضحًا فهو يكثر من استخدام فعلي المضارع والأمر على حساب الفعل الماضي،ولكن هذا لا يعني رضاه عن زمنه أو حاضره.وعلى الرغم من ذلك يظل جويدة متطلعًا إلى المستقبل،متمسكًا بالأمل في أغلب قصائده.

أ)الزمن العام التدميري:

يحيا جويدة زمنه/حاضره، بالرغم من سطوته وبطشه،فهو يجابهه بكل ما هو قاسٍ ومؤلم،وثقيل الوطء،ولهذا يظهر الزمن الحاضر عند الشاعر على أنه: (الزمن اللقيط)،(زمنًا بعيون ثكلى مثقوبة)،(زمن الأشياء المقلوبة)،(زمن الذئاب)،(زمن الشقاء)،(زمن الرقيق)،(زمان جاحد)،(زمن ضرير)،(زمن بخيل)،(زمن الجنون)،(زمان لا يفيق)،(الزمن العقيم)،(زمن كسيح)،(زمنًا تعرى)،(زمن العار)،(زمن النخاسة)،(زمن الموالي)،(زمن القراصنة الكبار)،(الزمن الكريه).

ويختلف الزمان عند جويدة باختلاف المكان؛ففي المدينة تكاد تتقطع الروابط الإنسانية، وتتعدد مظاهر الفساد من أجل الوصول إلى المناصب العليا،والرغبة في الثراء، وفي ظل هذه المادية التي تطحن القيم لا يستطيع الإنسان خلاصًا من همومه عن طريق التجائه إلى الدين،فنفسه قد حُمّلت من الأدران ما لا تقوى على إذابتها ركعتان في الحسين،فروح الإنسان تكاد تختنق،والبيوت صارت كالمقابر لا حياة فيها ولا روح:

وغضبت يا أبتاه مني بعدما
تاهت خطاي عن الحسين
أتراه عاش زماننا
أتراه ذاق كؤوسنا؟
هل كان في أيامه دجلٌ...وإذلالٌ...وقهر

هل كان في أيامه دنسٌ يضيق بكل طهر
فبيوتنا صارت مقابر للبشر
في كل مقبرةٍ إله
يعطي.. ويمنع ما يشاء
ما أكثر العبّاد في زمن الشقاء

إن الشاعر يناجي أباه الراحل في هذه الدفقة،ويشتكي إليه زمانه الذي يدفعه دفعًا لأن يحيد عن صراط أبيه ونهجه السلوكيّ المستقيم؛فأباه هو الذي غرس في نفسه تلك القيم التي استحالت حاجزًا يقف بينه وبين الانخراط في مجتمع المدينة الذي تحكم علاقاته المصالح الشخصية،والمادية الفارغة؛ولذلك سمّاه (زمن الشقاء). وهذا الزمان الذي ضاع فيه الحب بين البشر،لن ينجب سوى كل خطيئة.يخاطب جويدة الحب قائلًا:

لم قد رحلت وأنت عندي بالحياة؟!
وتركتنا لزماننا
زمن...تضاجعه الذنوب..
فتحمل الأرض العصاه
زمن الطغاة.. زماننا..زمن الطغاة

بل إن هذا الزمان قد يدفعه إلى الجنون والصراخ؛ليخرج ما في جعبته من أسىً وهمٍ واغتراب.ومن هنا تبدو فكرة الرحيل بمثابة المنجى والملتجأ بوصفها إحدى سبل الهروب،ودلائل عجز الإنسان وقلة حيلته في مجابهة العوائق والصعاب،فهو زمانٌ يفرّق المحبين،يمزّق الأثواب،ويكسّر الأحلام،ويأكل الأيام،فماذا يفعل الإنسان في مواجهته؟

قالت
تعال الآن نهتف بين جدران السكون
قل أيَّ شيءٍ عن حكايتنا
عن الإنسان في زمن الجنون
اصرخ بدمعك..أو جنونك في الطريق
قل أيَّ شيءٍ
قل إنه الطوفان يأكلنا..ويطعم من بقايانا
كلاب الصيد والغربان..والفئران في الزمن العقيم
ماذا تقول عن الرحيل؟

وتغير الزمان جعل المكان كالجحيم عندما صبغه بشتى ألوان الفساد، فأصبح لا يتجرع منه الإنسان إلا كل مرارة،وتحوُّل الزمان يغير ملامح الأمكنة، فإذا اجتمع(زمان بخيل)على (ثرى وطن بخيل)قد تأتي الصورة قاتمة؛ لتشي بواقع مهين:

ماذا تبقّى من ضياء الصبح في عين الوطن؟
والشمس تجمع ضوءها المكسور
والصبح الطريد
رفات قدّيسٍ يفتّش عن كفن
الليل بين خرائب الزمن اللقيط
يسير منكسرًا على قدمين عاجزتين

ثمّ يطل في سأمٍ..ويسأل عن سكن
يتسوّل الأحلامَ بين الناس
يسألهم..وقد ضاقت به الأيام
من منا تغيّر
وجه هذي الأرض..أم وجه الزمن؟!

ولم يكتف جويدة برصد تغير ملامح الزمان في وطنه فقط، وإنما في بلاد العرب أجمعين؛إذ رأى أنهم يعيشون في زمان الهوان والعجز؛إذ هانت عليهم أنفسهم،وأسلموا زمام أمورهم لأعدائهم،وباعوا أوطانهم وكرامتهم وتاريخهم المجيد:

وكان الصدق رايتكم
وكان الحق برهانًا
وكانت خيلكم قدرًا
على من باع.. أو خانا
وكانت صيحة الإسلام تجمعكم
أمام الله إخوانا
زمان العجز أنساكم..وأنسانا
تشرذمتم..وصرتم لعبة السفهاء
صار الخوف إدمانا

وإذا كان هذا الزمان قد باع شرفه ــ كما يرى الشاعرــأو سرقه منه أهله،فإن الشريف من يختار أن يموت عزيزًا صامدًا،مستمسكًا بمبادئه،وأن ينتصر للحق ولا يخاف بطش الزمان وأهله من رؤوس الفساد:

كن صيحةً للحق
في الزمن الملوّث بالدمامة..والعفن
لا تخش كهّان الزمان الوغد
إن عروشهم صارت قبورًا
فاترك التاريخ يحكم..والزمن

وعلى الرغم من قبح الزمان الذي يعيش به الشاعر ــ كما يرى ــ فإنه لا يفقدُ إيمانه بالغدِ السعيد،كما سيتبين الشواهد الشعرية في المحور الخاص بالزمن الآتي.

ب)المفارقة الزمنية بين الماضي والحاضر:

إن النظرة التحليلية لشعر جويدة تكشف عن ثنائية ضدية في نعوته للزمن،فعلى الرغم من أنه يلعن الزمن الحاضر،ولا يتورع عن وصفه بأقبح الأوصاف،نجد إشاراتٍ حيية لزمنٍ آخر غاب واندثر،زمنٍ شامخ نبيل،هو الزمن القديم،زمن أحيا قيم الحضارة على ضفاف النيل،وزمن بعده صان هذه القيم قبل أن يأتي طوفان الحداثة ليغرقها.

ومن القصائد التي برزت فيها هذه الثنائية قصيدته(حتى الحجارة أعلنت عصيانها)حيث يحكي عن حجر أصم في قلب النيل، توقفت أدوات "الهدم" أمام أنينه، أثناء هدم كوبري أبو العلا،فكأنه يبكي على الماضي العريق، وأنينه هو أنين المفارقة بين الماضي والحاضر يقول عن هذا الحجر:

يبكي على زمنٍ تولى

كانت الأحجار تيجانًا..وأوسمةً
تزّين قامة الشرفاءْ

وهو يصرخ باكيًا على جمالٍ اختفى،وقبحٍ ساد،كما يبكي قيمًا نبيلة تولّت، ويشكو من فسادٍ تفشّى.

ويرصد الشاعر بعض ملامح هذا الجمال المادي والمعنويّ على النحو الآتي:

أين العصافير التي رحلتْ
وكانت كلّما هاجت بها الذكرى
تحنّ إلى الغناء؟!
أين النخيل يعانق السحب البعيدة
كلّما عبرت على وجه الفضاء؟!
أين الشراع على جناح الضوء
والسفر الطويل..ووحشة الغرباء؟!
أين الدموع تطلّ من بين المآقي
والربيع يودّع الأزهار
يتركها لأحزان الشتاء؟!
أين المواويل الجميلة
فوق وجه النيل تشهد عرسه
والكون يرسم للضفاف ثيابها الخضراء؟!

إن ملامح المكان قد تبدّلت؛إذ هجرت العصافير أعشاشها،وامتنعت عن شدوها،ونكّس النخيل رؤوسه؛إذلم يعد أحد يأبه بجمال تلك الطبيعة المصرية الأصيلة،التي ترتبط بنهر النيل ارتباطًا وثيقًا.إن عادات المصريين تبدّلت بمرور الزمن،وأوشكت المواويل التي كانوا ينشدونها مجتمعين فوق سطح النيل على الاندثار.

وقد صاحب هذا التحوّل الماديّ تغيرٌ في القيم المعنوية، وتظهر القصيدة موقف الشاعر الرافض لذلك التحوّل،ولذلك فقد جعل الصخر ــ وهو جمادٌ أصمّ كما أنه يعدّ رمزًا للقسوة ــ يبكي على قيم الجمال المعنوي التي رحلت.يقول:

حجرٌ عتيقٌ فوق صدر النيل
يبكي في العراء..
حجرٌ..ولكن من جمود الصخر ينبت كبرياء
حجرٌ..يعلمنا مع الأيام درسًا في الوفاء
النهر يعرف حزن هذا الصامت المهموم
في زمن البلادة..والتنطّع..والغباءْ

وما نظن هذا الحجر العتيق إلا الشاعر نفسه؛إذ طالما نشد تلك القيم المضيّعة في قصائده، ورثاها بشعره،وطالما ضاق ذرعًا بزمانه القبيح،ويؤكد ذلك الزعم ارتداؤه قناع هذا الحجر في ختام القصيدة؛فيأتي الحديث على لسان الشاعر،وكأن الحجر قد أنهكه البكاء فأكمل الشاعر حديثه،فإذا نطقت الحجارة كيف لا ينطق الشاعر:

الآن يلقيني السماسرة الكبار إلى الردى

فأموت حزنًا..
لا وداع..ولا دموع..ولا صدى
.....
يا أيها الزمن المشوّه
لن تراني بعد هذا اليوم وجهًا جامدًا

جـ) زمن الشاعر الخاص:

ونلحظ هذه الثنائية ــ كذلك ــ والمفارقة بين رفعة الماضي وهوان الحاضر إذا ما تأملنا حديثه عن حياته الخاصة:

قد خانني الزمن اللقيط
أضاع مني الأمس..شردني
وأنكر مولدي
سرق الزمان البكر..ضللني
وأسقط معبدي

ينعت الشاعر زمانه باللقيط؛لأنه يعبث به،ويعبس له،فبعد أن ولّت أيامُ صباه سعيدة هانئة،حلّت محلها أيامٌ قاسية.وقد جاءت جميع الأفعال في هذه الدفقة تحملُ دلالاتٍ سلبية منسوبة إلى الزمن الحاضر، وهي:(خانني،أضاع، شرّدني، أنكر، سرق، أسقط)، كما جاءت جميعها بصيغة الماضي؛ لتدل على الثبات والتحقق.

د) الزمن الآتي:

إن فاروق جويدة يظل مستمسكًا بالأمل في الغد المشرق على الرغم من ظلام الواقع ومرارته،وربما يرجع ذلك لتأثر الشاعر بنشأته الدينية،فالقرآن طالما حثّ المؤمن على الاستمساك بالأمل؛إذ إنه"لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"(يوسف:87)، ويظهر هذا التأثر في قوله مخاطبًا والدته:

لكنني مازلت أحلم مثلما يومًا
رأيتك تحلمين
قد قلتِ إن الأرض تنزفُ من سنين
وبأن صوت الطفل
بين ضلوعها..يعلو
ويحمل فرحة الزمن الحزين
ما زلتٌ يا أمّاه أنتظر الوليد
رغم الضياع..ورغم عنواني الطريد
إني أرى عينيه خلف الليل
تبتسمان بالزمن السعيد

إن الشاعر يعيشُ في قريةٍ فقيرة بائسة،يخيّمُ عليها الجوعُ والحزن والصقيع، إلا أنه لا يزال مستمسكًا بالأمل في أن يزول الشقاء، ويرحل الشتاء عن

قريته.وقد جمع الشاعر بين الشقاء والشتاء؛إذ تجمع القسوة بينهما،إلا أنه في نهاية القصيدة جاء بالمفردات الباعثة على الأمل،مثل: (أحلم،فرحة، تبتسمان، السعيد).

وتكاد تلك الرؤية للزمن من قبل فاروق جويدة أن تكون موحدة أو لنقل أنها الأغلب في قصائده، فعلى الرغم من قبح زمانه وسخط الشاعر عليه،إلا أنه لا يفقد حسن ظنه في الغد الآتي، وبذلك فهو يعمل على إشباع توقعات القارئ الذي يريد من يبث في نفسه الأمل في ظل واقع قاسٍ ومظلم.

ثانيًا:مفردات الأعلام:

يحفل نص جويدة الشعري بالعديد من الإحالات التي لا تنتمي فقط إلى التجربة الخاصة، وإنما تنفتح على تجارب الآخرين عبر الزمان والمكان، وتقيم صلاتٍ مع معارف متنوعة لعلّ من أبرزها التاريخ.

ومن الإشارات التي تكشف عن البعد المعرفي في شعر جويدة أسماء الأعلام(أشخاص أو أماكن أو موجودات)، وإيراد أسماء الأعلام في النص الشعري لا يجعل منها مجرد أسماء أو إشارات تحيل إلى مرجعها،وتقتصر على مدلولها الحرفي، وإنما تتحول إلى أدوات للرؤية والتعبير،تتخلى عن وضعيتها،وتصبح رموزًا لها تداعياتها، ودلالاتها العميقة والثرية.

وقبل أن نذكر هذه الأعلام،نورد أولًا تعريف كلمة العلم، وهو:الاسم الذي يعين مسماه تعيينًا مطلقًا، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول:الاسم، مثل(خالد، عمر، مصر،دمشق،...إلى آخره)

الثاني:الكنية، وهو ما بُدِيء بأم، أو أب،أو أخ، أو عم، مثل:أبو خالد، أم إبراهيم

الثالث:اللقب، وهو ما أشعرَ بمدح أو ذمّ،مثل: (الصدّيق والفاروق)في المدح، و: (السفّاح والكذّاب)في الذمّ.

وقد توزعت أسماء الأعلام في شعر جويدة على هذا النحو:

أ -شخصيات تاريخية ودينية قديمة:

تتواتر الأسماء التي تحيلُ إلى الدين، والتاريخ، ومنها:المسيح/يسوع، محمد(نبيّ الإسلام)،موسى، يوسف، يعقوب، صلاح الدين الأيوبي، خالد بن الوليد، بلال بن رباح،عمرو بن العاص، جبريل(أمين الوحي)، خديجة، عمر بن الخطّاب،عثمان بم عفّان،ابو العلاء المعري، ليلى العامرية،أبو لهب،أبو سفيان،داوود عليه السلام،وآل بيت الرسول.

ب شخصيات معاصرة:

ويحفل نص جويدة بالعديد من الأسماء المعاصرة،التي حققت شهرةَ في مجال السياسة أو الفكر: مثل شارون، وجورج بوش، والشاعر بدر شاكر السياب،وسلمان رشدي، والشهيدة اللبنانية سناء محيدلي، والحاكم شاوشيسكو،

ونيلسون مانديلا، والشهيد محمد الدرة، وبلقيس زوجة الشاعر نزار قباني.

ت -أسماء دول ومواقع وشعوب:

ترد أسماء الأماكن بما تحمله من عبقٍ، وتاريخٍ، وأحداثٍ،وملامح شعب،مثل: مصر، بغداد، القدس،بيروت،طهران،عكا،غزة،فلسطين ،رام الله، الخليل،أمريكا، لبنان، الشام، سيناء، صبرا وشاتيلا، داحس والغبراء، مكة المكرمة، ليلة الإسراء والمعراج،قرطبة، باريس،الكويت،حلب، دجلة والفرات،اليمن، المغرب،الخليج، أسوان، الكعبة المشرفة، المسجد الأقصى،نهر النيل،أبو الهول، الأهرام، نهر السين بباريس.

وتمتح أكثر أسماء الأعلام المستخدمة في شعر جويدة من معين الدين والتاريخ، أو السياسة،في حين نجد أنه يكاد يمتنع عن ذكر مفردات من حقول معرفية أخرى:كالفلسفة والأساطير،فهو يؤثر السهولة والبساطة في التعبير الشعري، والاقتراب من عامة الجمهور،لا الفئات الخاصة كالمثقفين،كما يختار قضايا جماهيرية، ورموزًا عاشت في وجدان كل عربيّ مسلم،وربما يكون هذا أحد أسباب انتشار أعمال الشاعر التي تبلغ حجم مقروئيتها ــ طبقًا لتصريحاته في بعض الندوات ـــ ثلاثة ملايين نسخة،وتصل المليون في بعض التقديرات المعتدلة الأخرى.

ولعلّ أسباب انتشار المفردات الدينية،ومنها أسماء الأعلام ،تأثر الشاعر بنشأته الدينية بين يدي والده،الذي يتحدّث عنه قائلًا:

كانت هموم أبي تذوب.. بركعتين
كل الذي يبغيه في الدنيا صلاةٌ في الحسين
أو دعوة لله أن يرضى عليه..
لكي يرى جدَّ الحسين
قد كنتُ مثلَ أبي أصلي في المساء
وأظلّ أقرأ في كتاب الله ألتمس الرجاء
أو أقرأ الكتب القديمة
أشواق ليلى..أو رياض أبي العلاء

بل إنه ليُهيأ له أن أباه قد غضب عليه؛لأنه امتنع عن أداء الركعتين في الحسين؛إذ شغلته حياة المدينة بماديتها،وأنانيتها،وسرعة إيقاعها:

وبعثتَ تعتب يا أبي..!
وغضبتَ مني بعدما
تاهت خطاي عن.. الحسين
أنا يا أبي في الدرب مصلوب اليدين
وزوابع الأيام تحملني ولا أدري.. لأين
أبتاه لا تعتب عليَّ

يومًا ستلقاني أصلي في الحسين
سترى دموعَ الحزن..تحملها بقايا مقلتين
فأنا أحنّ إلى الحسين
ويشدّني قلبي إليه..فلا أرى قدمي تسير

وبسبب هذه النشأة الدينية ـــ كذلك ــ يرى جويدة أن خلاص الأرض من فسادها وكآبتها،والصراع المرير الدائر على ظهرها لن يكون إلا بالرجوع إلى القيم الدينية التي حثّت عليها جميع الأديان السماوية من خير، وعدل،وسلام، وغير ذلك، وهو لا يفرّق بين أحد من الرسل فيستدعيهم في شعره؛لينقذوا الأرض من الضياع، ويبثّهم شكواه مما صارت إليه.يقول:

هذا ضياء محمد
ينساب يخترق المفارق..والجسور
عيسى..وموسى..والنبي محمد
عطرٌ من الرحمن في الدنيا يدو

وكأن الكائنات المكلومة أنطقها الفرح،وهتفت بأنبياء الله تستغيث بهم،وتشكو لهم ما أصابها؛إذ يدور حوار شيق بين زهرة (ثكلى)ونبي الله موسى على هذا النحو:

موسى يداعب زهرةً
ثكلى..فينتبه الرحيق
الزهرة الخرساء تهمس:مرحبًا
يا أنبياء الحق..قد ضاعَ الطريق
الزهرة الخرساء تهتف في ذهول
.....
بالقلب أحزانٌ..وشكوى تختنق
وربيعُ أيامٍ يموت.. ويحترق
فالأرض كبّلها الضلال
تاه الحرام ــ مع الحرام ــ مع الحلال
والخوف يعبث في النفوس بلا خجل
والفقر في الأعماق يغتال المنى
ماذا يفيد العمر لو ضاع الأمل؟

وتستمر تلك الزهرة في بثّ شكواها إلى المسيح عيسى عليه السلام،فتشكو إليه ضياع السلام والمحبة اللذين حضّ عليهما في رسالته،وانتشار الظلام والعدوان،وانهيار القيم أمام شهوتي المال والجنس:

عيسى رسول الله
يا مهد السلامْ
هذي قبور الناس..

ضاقت بالجماجم والعظام
أحياؤنا فيها نيام
وعلى جبين اليأس ..
مات الحب وانتحر الوئام
الحقُّ مصلوبٌ مع الأنفاس في دنيا الدجل
والحبّ في ليل الدراهم..
والمخابئ..والمباحث لم يزلْ
يشكو زمانًا يُسحق الإنسانُ فيه بلا خجلْ

ونلاحظ ان الشاعر قد راعى التسلسل التاريخي لقدوم الأنبياء، فاستحضرهم على التتابع،فبدأ بموسى وعيسى ثم ختمهم بالنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم،وكأن هيبة حضوره بين يديه،وحديثه معه أنسته قناع الزهرة الثكلى، ليقف بين يديه طفلًا حائرًا أتى ليهتدي بين يديه:

أهلًا
رسول الله
يا خير الهداة الصادقين
أنا يا محمد قد أتيتك
من دروب الحائرين
فلقد رأيت الأرض..
تسكر من دماء الجائعين
والناس تحرق في رفات العدل
مات العدل فينا من سنين
أنا يا رسول الله طفلٌ حائرٌ
من يرحم الآباء..من يحمي البنين؟
الناس تأكل بعضها
هذي لحوم الناس نأكلها..ونشرب خلفها
دمع الحيارى المتعبين

وكما يستدعي أنبياء الله لبعث المحبة والسلام،فإنه يستدعي ــ كذلك ــ شخصياتٍ الصحابة راثيًا أحلام العرب،وأمجادهم،وبطولاتهم،ويشكو إليهم ما آلت إليه أحوال المسلمين،وذلك في قصيدتيه:مرثية حلم،ومرثية ما قبل الغروب:

يا خالد السيف لا تعجب ففي زمني
باعو المآذن والقرآن راضينا
قم من ترابك يا ابن العاص..في دمنا
ثأرٌ طويلٌ..لهيب العار يكوينا
قم يا بلال..وأذّن..صمتنا عدمٌ
كلُّ الذي كان طهرًا لم يعدْ فينا

هل من صلاحٍ بسيف الحق يجمعنا
في القدس يومًا فيحييها..ويحيينا؟
هل من صلاحٍ يداوي جرح أمته
ويطلق الصبحَ نارًا من لياليا
هل من صلاح لشعبٍ هدَّه أملٌ
ما زال رغم عناد الجرح يشفينا
هل من صلاحٍ يعيد السيف في يدنا؟
ولتبتروها... فقد شُلّت أيادينا

ونلاحظ أنه يستحضر الشخصيات بما تميزت به في الواقع التاريخي،كما هي،فلم يحاول أن يضفي عليها صفاتٍ جديدة،أو يوظفها توظيفًا فنيًا،وهذا يؤكد النزعة التقليدية في شعر فاروق جويدة.

ونلاحظ في الدفقة السابقة تكرار اسم (صلاح الدين)اربع مرات،كما تكرر ذكره كثيرًا في سائر قصائده،وكأنه لا يرى الخلاص إلا على يد ذلك البطل التاريخي،أو من يحاول أن يقتدي به.

واستدعاء جويدة للشخصيات التراثية ــ لاسيما الدينية منهاــ قد يأتي على هيئة رمز،فيتخذ من كل شخصية رمزًا يرمز به إلى قيمةٍ معينة،ولكن على مستوى سطحيّ،لا يميل بها إلى التعقيد،فنجد أبا لهب ــ مثلًاــ رمزًا للكفر،بينما يصبح أبو سفيان رمزًا للإيمان،وأبو جهل رمزًا للطغيان والفساد،هكذا في صورةٍ بسيطة واضحة ومباشرة:

لن يصبح بيت أبي لهبٍ
في يومٍ دار أبي سفيان
لا تسمع صوت أبي جهلٍ
حتى لو قرأ القرآن
فزمانك حقًا يا ولدي
زمن الإيمان ..الإيمان
واجعل من حجرك مئذنة
ودعاء مسيح..أو رهبان
فالزمن القادم يا ولدي
زمن الإنسان..الإنسان

ويتكرر ذكر فلسطين بمدنها المختلفة مثل:غزة،ورام الله،والخليل،والقدس في شعر جويدة،وكذلك سائر الدول العربية مثل:المغرب،وبيروت،وبغداد،مما جعله شاعرًا قوميًا من الطراز الأول؛إذ ينادي بوحدة العرب،ويحلم باستعادة القدس:

لن يكبر حلمٌ فوق القدس
وعين القدس يمزقها بطش السفهاء
لا تترك أرضك يا ولدي

لكلاب الصيد..وللغوغاء
اطلق أحجارك كالطوفانِ
بقلب القدس..وفي عكا
واحفر في غزة بحر دماء

ويتردد اسم مصر كثيرًا في شعر جويدة،بل إن خطابه الوطني كثيرًا ما يأتي مصبوغًا بلونٍ عاطفيٍّ بارز،فتتحول مصر ــ في رؤية الشاعر ــ إلى معشوقةٍ،تطرحُ نفسها في تشكيل أنثويٍّ خالص،يحتمل علاقة حبٍّ خالصة،إلا إنها علاقة محبطة؛إذ يجافيه الوطن ولا يبادله المحبة:

وأحملُ عينيكِ في كلّ أرضٍ
واغرسُ حُلمي..وهم يسرقون
تساوت لديكِ دماءُ الشهيدِ
وعطر الغواني وكأس المجون
ثلاثون عامًا وسبعٌ عجافٌ
يبيعون فيكِ..ولا يخجلونْ
فلا تتركي الفجرَ للسارقينْ
فعارٌ على النيلِ ما يفعلونْ
لأنك مهما تناءيتِ عنّي
وهان على القلبِ ما لا يهونْ
وأصبحتُ فيكِ المغنّي القديم
أطوفُ بلحني..ولا يسمعونْ
أموتُ عليكِ شهيدًا بعشقي
وإن كان عشقي بعضَ الجنونْ

ولأن الشاعر بضاعته هي الكلمة،فإن جويدة يكتفي بمواجهة عصر الزّيف ــ كما يسمّيه ــ بالكلمات،ومن ثمّ فإنه يبعث برسائل شعرية إلى رموز الطغيان في التاريخ الحديث للسياسة،مثل: جورج بوش، وشارون،وقد كتب في الأخير رسالتين شعريتين،نعته فيهما بأقبح الأوصاف؛لانتهاكه حرمات المسلمين، وتقتيله إياهم بلا رحمة:

ارحل عن القدس واترك ساحة الحرم هل يلتقي الطهر يا خنزير بالرمم؟!
كيف اجترأت على أرضٍ مطهّرةٍ سرى بها خير خلق الله والامم؟!
هذا التراب الذي لوّثت جبهته مازال يصرخُ بين الناس في ألم
لوّثتَ بالعار أعتابًا مباركة وجئتَ كالكلب في حشدٍ من الغنم

تاريخك الآن بالأوحال نكتبـــــــــــهُ لكلّ أطفالنا..في القبر والرحم
يا أقذر الناس تلهو في مساجدنا وتقذفُ القدسَ بالنيران والحمم

وكان من البديهي والأمر كذلك أن يبعث برسالةٍ شعرية إلى صلاح الدين ــ كذلك ــ ليستغيث به للمسجد الأقصى،ويشكو إليه أحوال المسلمين والعرب،وهو يخاطبه فيها قائلًا:

يا سيدي..فلأعترف
أن الجواد الجامح
المجنون قد خسر الرهان
وبأن أوحال الزمان الوغد
فوق رؤوسنا..
صارت ثياب الملك..والتيجان

ونلاحظ هنا أسلوب النداء الذي يشي بالمحبة والتقدير لذلك البطل،كما نحسب أن هذا الجواد الجامح ما هو إلا جويدة نفسه،الذي عاش مراهنًا على قيمٍ مثالية في واقعٍ غير مثاليّ،غلبته المادية،وانتشر فيه الفساد،فكانت النتيجة المحتومة أن يخسر الرهان.

ويظهر الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان "صلاح الدين"،مرتديًا قناع ذلك البطل؛رغبةً منه في إحياء هــذا الرمــز العظــيم فــي التــاريخ العربــي والإسلامي،وتعزيز الهوية العربية والإسلامية في نفوس القراء والمتلقين:

لو بعد آلاف السنين
سأطلّ من خلف المذابح
من تلال القدس
من صوت المؤذّن
من رُبى حطّين
سأطلّ في عين الصغارِ
ومن دموع العشبِ
من جثث الضحايا
من رفات الراحلين

كما بعث جويدة برسالة شعرية ــ أيضًا ــ إلى نهر النيــل الــذي فقــد تمرّده.وقد تردد ذكر هذا النهر الخالد كثيرًا في قصائده مما يدل على مكانته المكينة من نفس الشاعر،كما يؤكد النزعة التقليدية في شعر جويدة؛إذ إن "استدعاء النيل يمثّل نسقًا ثقافيًا موغلًا في القدم،فقد كان النيل شاغل فراعنة مصر ومبدعيها على مسار التاريخ،وانتقل إلى الكتب المقدّسة مع عصر الرسالات السماوية،كما كان حضوره طاغيًا في الخطاب الشعريّ،بل يمكن القول إنه صاحب الشعرية العربية منذ بدايتها المبكرة في الزمن الجاهليّ حتى يومنا هذا،ويكاد يكون حضوره لازمًا

في شعرية العصر الحديث منذ البارودي مـــرورًا بإســـماعيل صبري،وشـــوقي حافظ،وعلي محمود طه،ومحمود حسن إسماعيل،وناجي،ثمّ فاروق شوشة، وأبو سنة،وعبد المنعم عوّاد يوسف،وحسن فتح الباب،وأحمد سويلم،وحسن طلب،وسواهم من القدامى والمحدثين."

يقول جويدة:

على وجنتيك بقايا هموم
وفي مقلتيك انهيارٌ وخوف
لماذا تخاف؟
لقد كنتَ يومًا تخيف الملوك
فخافوا شموخك
خافوا جنونك
كان الأمان بأن يعبدوك
وراح الملوك وجاء الملوك
ومازلتَ أنتَ مليك الملوك
ولن يخلعوك
فهل قيدوك
لينهار فينا
زمان الشموخ
وعلمنا القيد صمت الهوان
فصرنا عبيدًا كما استعبدوك

هنا يبدو حوار من طرف واحد؛إذ يبدو الطـــرف الآخـــر صـــامتًا،وهو النيل،الذي نقله النص إلى طبيعة بشرية،تلاحقه ثنائيـــة زمنيـــة بـــين الماضـــي والحاضر.وقد ربط الشاعر حال شعبه بثنائيةٍ مماثلة، فعندما هـــان النيـــل علـــى الطغاة،هان الشعب،وصار عبدًا ذليلًا،فمجد المصريين يرتبط بهذا النهر الخالد.

ويرصد جويدة بعضًا من ملامح الحاضر المأســـاويّ للنيل،المصـــاحب لضـــياع مظـــاهر حســـنِه وبهائه،فيبـــدو ضـــعيفًا،هزيلًا،مكبّلًا بالقيود،هجرتـــه الطيور،وفارقته الكبرياء،إلا إنّه يظلّ رافعًا راية العصيان في وجه تلك المتغيرات:

في كلّ يومٍ يشطرون النهر
فالعينان هاربتان في فزع
وأنفُ النّيل يسقطُ كالشّظايا
والفمُ المسجونُ أطلالٌ..
وصوتُ الرّيح يعصفُ بالبدنْ
قدَمان خائرتان،بطنٌ جائِعٌ..

المراجع

1) فريدة غبوة في مقال بعنوان "أسس المنهج الظواهري عند أدموند هوسرل"،مجلة التواصل،جامعة عنابة – الجزائر،العدد 4،يونيو،1999م،ص197،ص211.
2) محمد بن عيّاد،الزمن والشعر،مجلة علامات،المغرب،العدد 17،2004م،ص16
3) عبد العزيز بومسهولي،الشعر والتأويل:قراءة في شعر أدونيس،ط1، افريقيا،المغرب، 1998م، ص7
4) انظر:د.عبد الغفار مكاوي، نداء الحقيقة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،2010م، ص58.
5) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي،مختار الصحاح،دار الهلال، بيروت،ط1، 1983،ص275
6) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق د.عبد العظيم الشناوي، دار المعارف ط2،256
7) ابن منظور،لسان العرب،تح:عبد الله الكبير،ومحمد أحمد حسب الله،وهاشم محمد الشاذلي.دار المعارف،مادة (زمن).
8) قصيدة (زمن الذئاب)،الأعمال الكاملة،المجلد الأول،دار الشروق،ط1،2004م،ص 127
9) قصيدة (ومات الحب في مدينتي)،السابق،ص210
10)قصيدة (الرحيل)،م2/،ص32
11)قصيدة(أغنية للوطن)،م3/ص 185
12)قصيدة(رسالة ثانية إلى شارون)م3/ص 426
13)قصيدة(مت صامدًا)،م3/ص45
14)قصيدة(حتى الحجارة أعلنت عصيانها)السابق/ص306
15)قصيدة (حتى الحجارة أعلنت عصيانها)،م3/ص307
16)قصيدة (حتى الحجارة أعلنت عصيانها)،م3/،ص308
17)القصيدة السابقة،ص316
18)قصيدة (امرأة من ألف عام)م3/ص395
19)قصيدة(الصبح حلم لا يجيء)م1/ص 364
20)قراءة الصورة وصور القراءة،ص105
21)قصيدة(بالرغم منا قد نضيع)،م1/ص16
22)قصيدة(عودة الأنبياء)،م1/ص326
23)القصيدة السابقة/ص326م
24)قصيدة (عودة الأنبياء)،ص326
25)قصيدة (عودة الأنبياء)،،ص330
26)قصيدة(عودة الأنبياء)،ص330
27)قصيدة(مرثية حلم)،م2/ص185
28)قصيدة(إن هان الوطن يهون العمر)،م2/ص357

29)القصيدة السابقة/ص354
30)قصيدة(أنشودة المغني القديم)،م2/ص302
31)قصيدة(رسالة إلى شارون)،م3/ ص414
32)قصيدة(رسالة على صلاح الدين)،م3/ص204
33)قصيدة(صلاح الدين)،م3/ص380
34)د.محمد عبد المطلب، سلطة الشعر،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2009م، ص161
35)قصيدة(إلى نهر فقد تمرده)،م3/ص103